أديب يُودع

دمعة على فقيد الأدب
الأستاذ الحاج محمد اباحنيني

فَقِيـــــــدَ الفَـنِ وَالأدَبَ المجَلِـي ... وَمَنْ نَثَـرَ الجَـوَاهِـرَ وَالجُمَـانَـا
يَعَـزُّ عَلَـيّ أنْ يَـرثِيكَ شِعْـرِي ... وَأُطْلِقَ فِـي مَـرَاثِيكَ العِنَـانَـا
وَكَيْفَ يُجِيـدُ مَحْـزُونٌ رِثَـاء ... وَقَـدْ عَقَـدَ الأسَىٰ مِنْـهُ اللِّسَـانَـا ؟
نُحَـاوِلُ أنْ نُضَمِّـدَ بِـالمَـآسِي ... جُـرُوحـاً يَشْتَكِي مِنْهَـا الحَـزَانَى
وَنَطْلُبُ مِنْ عَـوَادِي الـدّهْـرِ أمْناً ... وَلَمْ تُخْلَـقَ لِتُعْطِينَـا أمَـانَـا !
نَسِيـرُ كَمَـا يُـرَادُ لَنَـا وَتَمْشِي ... بِنَـا لِلْمَوْتِ - مُكْرَهَـةً - خُطَانَـا !
فَقَـدْنَـا فِيكَ مُقْتَـدراً أدِيبـاً ... عِصَـامِيـاً وَلَمْ نَفْقِـد أسَـانَـا !
وَأُطْفِئَتِ الشُمُـوعُ وَغَـابَ نَجْمٌ ... ألفْنَـاهُ تَـوَهَّجَ فِي سَمَـانَـا
كَأنَّكَ فِـي رِيَّـاضِ النَثْـرِ تَشْـدُو ... أبُـو حَيَّـانَ يمتعُنَـا بَيَـانَـا !
تَحْلِقُ دُونَ أجْنِحَـةٍ لِـدُنْيَـا ... مِن الإبْـدَاع تَبْعُـدُ عَـنْ دُنَـانَـا
تُحِيلُ اللّفْظَ شَهْـداً مُسْتَطَـابـاً ... وَتَمْـلأ مِن عُصَـارتِـهِ دَنَـانَـا
وَتَأتِـي بِـالـرّوَائِعِ زَاهِيَـاتٍ ... نَفَـائِسَ تُشْبِـهُ الغِيـدَ الحِسَـانَـا !
أسَـالِيبٌ كَبَـاقِ الـزّهْـرِ رَيىٰ ... (ونيـرُوز) سَبَقْـتَ بِـهِ الـزَّمَـانَـا

* *

وَكُنْتَ صَـدىً لأعصُـرِنَـا الـزَّوَاهِي ... وعِطْـراً فَـاحَ ضَمَّخَ مُنْتَـدَانَـا
وَكُنْتَ حَـرِيـرِيَّ الأُسْلُـوب حِيناً ... وَجَـاحِظِيَّ المَعَـانِـي فِيـهِ آنَـا
وَعِطْـراً هَبَّ مِـنْ بَغْـدَادَ يَسْـرِي ... وَشُحْـرُوراً يُغَـرِد فِـي رُبَـانَـا
وَلَمْ تَكُ شَـاعِـراً يَبْنِي القَـوَافِي ... كَمَـا نَبْنِي وَيُجْهِـدُنَـا بِنَـانَـا

وَلَكِنْ كُنْتَ نَقَّـــاداً بَصِيـــراً بِأسْـــرَارِ البَـلاَغَـةِ قَهْـرَمَـانَـا !
تَهِيمُ بِهَـــا قَصِيـــداً أوْ نَشِيـــداً وَتَعْشقُهَـا رَبَـابـاً أوْ كَمَـانَـا !
وَتُطْـــربكَ المَعَـــانِي وَالمَثَـــانِي إذَا مَـــا دَاعَبَ الـــوَتَـرُ البَنَـانَـا !

* *

وَكَمْ أسْهَـــرتَ جَفْنَكَ فِي كِتَـــابٍ مَـلأتَ بِـهِ المَشَـاعِـــرَ وَالجَنَـانَـا !
جَـــرَيْتَ مَعَ المَعَـــالَي فِي سِبَـــاقٍ فَأكْسَبَكَ الـوَفَـاءُ لَهَـا الـرهَـانَـا !
هُـــوَ الإبْـــدَاع مَـــوْهِبَـــة وَطَبْع إذَا لَمْ يَتَّسِمَ بِـــالصِـــدْقِ هَـــانَـا
وَلَيْسَ بِضَـــاعَـةً بِـالمَـــالِ يُشْـرَى وَلَكِن جَـــوْهَـرٌ إنْ صِيـنَ صَـانَـا
وَمَـــالِي وَالـــرثَـــاء وَلِي شُجُـــونٌ دَعَـوْتُ لَهَـا القَـرِيضَ فَمَـا أعَـانَـا
وَلَكِنِي طَـــرُوبٌ بَـــالمَعَـــالِي شَغُـوفٌ بِـــالكَمَـالِ وَحَيْثُ كَـــانَـا
سَألْـتُ اللـــهَ أنْ يَسْقِيكَ فَيْضـــاً مِن الـــرَّحْمَى وَيُسْكِنَكَ الجِنَـــانَـا